الضالع من المستوطنات البشرية القديمة (١ - ٢)

تفاصيل عن بداية الإنسان بالضالع منذ العصر الحجري

تعتبر الضالع من المواقع المهمة تاريخيا بوجود آثار تعود إلى مختلف العصور التاريخية

"الأمناء" كتب/ أبو محمد مروان:

تعتبر محافظة الضالع من المواقع المهمة تاريخيا، ففيها وجدت نقوش وآثار مهمة، وبها أيضاً وجدت آثار تعود إلى مختلف العصور التاريخية من العصر الحجري القديم حتى العصر الحديدي والحديث، ورغم أن هذه المحافظة قد أبرزت ما فيها من معالم إنسانية تاريخية حضارية من القدم خلال العشر السنوات الأخيرة إلا إنها تعاني من إهمال الدولة والإعلام من تغطية لهذه الاكتشافات الأثرية الكبيرة والتي سوف نتطرق لها في هذا المنشور حرصا منا على تعريف كل إنسان على وجه هذه الأرض بما تزخر بها محافظة الضالع من معالم حضارية كبيرة.

أولا: جرف الإبل وجرف النابرة موقعان صخريان بمنطقة الضالع

في عام 2001 تم إعلام السلطات بمنطقة الضالع عن وجود موقعين صخريين ذات أهمية عالية، على بعد ساعة سيرا على الأقدام من القرى والأراضي الزراعية. تم زيارة هذين الموقعين من قبل الباحثين في ربيع 2002 من الدكتورة مديحة رشاد و الدكتورة ماري لويز إينزان بالبحث فيهما مع فريق مرافق لهما، وقد لخصوا ما وجدوا فيه في كتاب (فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ).

يقع الموقعان غرب محافظة الضالع في كتلة جبلية مكونة من بقايا أحجار رملية مسطحة شققت بواسطة الوديان العميقة مشكلة جدرانا شديدة الانحدار، والموقعان عبارة عن ملاجئ تقع تحت صخرة قليلة العمق، حيث لا يتعدى عمقها اثنين إلى ثلاثة أمتار على الأرجح، لكنهما ممتدان حيث يصل طولهما إلى 25 أو 30 مترا منحوتان في الجزء العلوي للجرف تحت البروز الأخير في قمة الكتل الصخرية واللذان يعودان إلى ما بين 10000 و9000 سنة قبل الميلاد.

1 - جرف الإبل

يعد "جرف الإبل" الموقع الأول الذي تم الوصول إليه، وهو عبارة عن ملجأ واقع تحت التجويف المسطح على قمة جبل صغير من الصخور الرملية لقد تعرضت حديثاً غالبية الرسوم والمنحوتات المصورة على جدران التجويف للهدم، ولم يبقَ سوى بعض الشواهد التي قاومت الانهيارات الناتجة بشكل أساسي عن حرارة النيران، التي تسببت في تغطية الرسوم باللون الأسود من آثار الدخان وفي بعض الأحيان من انهيار الجدار الصخري.

ما الأهمية التي تكتسبها مدينة شكع التاريخية؟

حيث يمكن مشاهدة فيها بعض الرسوم المتناثرة، والتي لا زالت ظاهرة هي رسوم تمثل فصيلة الغنم (الوعل) فضلاً عن خطوط متنوعة مقوسة ومستقيمة يمكن أن ينتمي البعض منها إلى رسوم أكثر واقعية. نحتت ثلاثة وعول أمام التجويف على كتلة ضخمة منهارة اثنان من هذه الغنم متقابلان وجها لوجه ولهما جسمان مرسومان بنفس الأسلوب تعلوهما قرون طويلة جدا، إن المقاسات العامة لكل حيوان هي 25 سم ارتفاعاً و20 سم طولاً.

2 - جرف النابرة

جرف النابرة بـ(الضالع) الذي يعود ما بين 10000 و9000 سنة قبل الميلاد، حيث إن الملجأ الصخري "جرف النابرة" الطويل جداً والمفتوح من الجهة الجنوبية الغربية يقع تقريباً على بعد واحد كيلومتر من "جرف الإبل". قمة المرتفع يطل عليها منحدر صخري.

تبرز فيها اللوحة الرئيسية مرسومة ومنحوتة على امتداد 20 مترا تقريباً مما يتساوى تقريباً مع الطول الكلي للجرف وعلى متوسط ارتفاع يقدر بمترين، ويمكن أن يصل إلى 2.70 مترا. ويصل عرض اللوحة التي رسم عليها الفنانون تقريباً 7 إلى 8 أمتار. هدم جزء من هذه اللوحة عبر بعض المختلسين الذين حفروا أيضا على الصخرة الأم.

حيث يصل عدد الرسوم الملونة إلى أكثر من 300 شكل وهي ذات أحجام صغيرة في الغالب غير أن المنحوتات النادرة جدا تحظى أحياناً بأحجام كبيرة.

كما هناك عدة رسوم حيوانية من بينها الأبقار التي تشكل الأغلبية (تقريبا 130 شكل) مع بعض الماعز، التي تشكل هي أيضا مع بعض الماعز، التي تشكل هي أيضا (30 شكلاً تقريباً) وعول وغزلان أو ماعز، وربما بعض الكلاب التي يرافقها 45 شكلاً بشرياً مشكلة مشاهداً مستقلة عن بعضها البعض. كما يوجد تمثل لرسوم قطعان ومشاهد رقص أو تأدية صلاة والتي يمكن أن تكون متداخلة الطبقات. كما يوجد أيضا مشاهد مع أشكال بشرية كبيرة ملفتة للنظر من خلال مقاساتها ووضعها، الذي يتوسط اللوحة والذي يصعب ترجمته. وخارج هذه المشاهد، يوجد عدة مواضيع منفردة.

وهناك لوحه أخرى صغيرة (2x2 متر تقريباً) تشاهد على بعد 20 مترا على شمال اللوحة الكبرى التي فصلت عنها بواسطة بعض الكتل الصخرية الضخمة المنهارة.

كما أن الأشكال البشرية ممثلة دائما بالوجه، فيما عدا بعض الأشكال البشرية ذات أجسام لها عضو جنسي طويل مبالغ فيه، أو مغطاة من فوق العانة.

لقد نُفذت أشكالُ سلبية للأيدي اليمنى واليسرى على جدار المقطع 1 وعلى الجزء الأعلى من اللوحة الكبرى.

كما تم تنفيذ نحت الوعول بأجسام مع قرون مرفوعة أو بتقويس دائري عريض متصلة تقريبا مع الحارك.

كما أن إن الأبقار الممثلة بأجسام مع قرون للأمام قيثارة أكثر أو أقل واقعية أكثرها مرسومة كلياً بلون واحد. ففي بعض الحالات تختلف الأجسام من خلال اختلاف أساليب الزخرفة الهندسية: خط أفقي مع مجموعة من أنصاف - دوائر متدلية، مجموعة من الشارات المتقابلة، مستطيلات مملوءة مربعات منسقة أو مخططات على شكل مربعات.

أغلبية الأبقار مرسومة في شكل قطعان حيوانات في صفوف أو مجمعة في مجموعات.

كذلك تشير بعض الرسوم إلى بعض النباتات من بينها شجرة مميزة وبنيان (عليه؟).

في النهاية توحي اثنا عشر نقشاً بخط المسند مرتبطة أحيانا بالرسم التصويري إلى أن الموقع تم استيطانه مرة أخرى في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد بحسب الدراسة.

إن الأشكال البشرية تم تمثيلها بثلاثة أحجام: مجموعة متوسط ارتفاعها 5 سم ، وأخرى من 10 إلى 12سم وفي ثلاث حالات من 30 إلى 50 سم.

الأبقار مرسومة بأحجام متفاوتة بطول 5 إلى 10 سم و 15 إلى 20 سم واستثنائيا 25 سم.

الوعول بشكل عام لديها مقياس متجانس من 10 إلى 12 سم من حيث الطول.

طبعات الأيدي بأحجام طبيعية لكونها نفذت بمساعدة نموذجها السلبي.

تستعمل في الرسوم الملونة تقنيات الرسم بواسطة نفخ الألوان المسحوقة على الأيدي رسوم خطية أو مجموعات من النقاط منفذة بواسطة ريشة أو أداة مشابهة.

ولكون الألوان بقيت حتى أيامنا هذه على الرغم من درجات التخريب المختلفة فإن سلم الألوان الملاحظة يتطور من الأحمر الفاتح إلى البني، وعموماً حول اللون الأحمر الياجوري، أما المنحوتات نفذت المنحوتات بشكل أساسي عن طريق النقر(التنقيط) والظاهرة أحيانا من خلال الرسم الملون. ساعدت هذه الملاحظات الأولية على الأقل في التعرف على ثلاثة أجيال من الرسوم الملونة والمنحوتات التي ربما يساعد على تحديدها اكتشاف ودراسة المزيد منها.

إن تفرد الرسوم الموجودة في جرف النابرة يكمن في تطور مشاهد القطعان ومشاهد الأشكال البشرية الكبيرة. ومن جهة أخرى إن الاستخدام الكثير للرسم الملون باللون الأحمر أو الأبيض، وتقنيات المزج بين النحت والرسم الملون أيضا تميز هذه المواقع.

تدل هذه الطبقات الأخيرة على وجود فن صخري في الضالع، والتي تمتلك نفس المميزات الأسلوبية العامة المعروفة في باقي أنحاء البلاد. تثير بعض الخصوصيات التفكير في أنماط محلية تطورت بكثرة أهمية الرعي وبعض المشاهد مع أشكال بشرية ربما كانت علاماتها الأكثر وضوحا.

ثانيا: مدينة شكع التاريخية

هي من أهم المدن التاريخية في محافظة الضالع والتي وجدت فيها العديد من الآثار والتماثيل والنقوش المسكوكات النقدية، وقد تكلم عنها الباحثون بأن هذه المدينة كانت تتبع إمارة يهنطل وقيل مملكة يهنطل وهي مملكة صغيره تقع في مديرية الحصين بمحافظة الضالع وأراضيها امتدت ما بين رعُين ويافع وهي حاليًا بلاد الضالع وما جاورها كالمسيمير من أرضي الحواشب وردفان ومخلاف العود بن سالم ودمت وجُبَن ووادي بَنَا إلى ديار بني بكر في الحد يافع وأجزاء كبيرة من البيضاء وبعض أجزاء من أبين. وقد كانت تتبع لـ سبأ ثم دهسم وتبنتم أوسان ثم عادت لـ سبأ في القرن السابع قبل الميلاد ثم أصبحت تابعه لقتبان في القرن الخامس قبل الميلاد ولكنها عادت لـ سبأ من جديد بعد أكثر من نصف قرن ثم أصبحت تتبع لـ ريدان ثم أصبحت لسبأ وذو ريدان ولم تفارقها أبداً حتى عهد مملكة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودم وتهامت.

كما وجد فيها مسكوكات تعود للعهد الريداني والسبأي والريداني والقتباني وأغلبها وجدت في مدينة شكع التاريخية ولذا إن هذه المحافظة العريقة التي موقعها ساعدها لأن تكون أحد أهم المواقع التاريخية التي تكمن قريبا من الممالك والبحر وطرق التجارة.

ويذكر أبو الحسن الهمداني في صفة جزيرة العرب شُكع قائلاً: "شَكع بضم الشين المعجمة والكاف آخره عين مهملة نسبة إلى شكع بن الحارث بن زيد بن يريدم ذي رعين وهو حصن وقرية من يافع السفلى بلاد المفلحي وهي غنية بالآثار".